الحرب العربية ــ «الاسرائيلية» السادسة

شفيق الحوت

أصبحت الكتابة السياسية المسؤولة صعبة جداً في هذه المرحلة من نضالنا. فبالإضافة إلى الطبيعة المعقدة للأوضاع السياسية في منطقتنا العربية وما بينها من ترابط وتشابك وتقاطع، وبالإضافة إلى كثرة الكمائن غير المنظورة والمبثوثة في أكثر من مكان وتأثيراتها على المواقف والأولويات، استشرى في الساحة نوع من «الحساسية» بين قوى التيار الواحد المتصدية للعدو الواحد.

ولم يعد سهلاً على الكاتب السياسي أن يسجل قناعاته بموضوعية وأن ينجو، في الوقت ذاته، من «تهمة» أنه «مع» أو «ضد» هذه أو تلك من قوى التيار الواحد. وإنه لمن المؤسف أن ترجح معايير النقد «القبليّة» الضيقة على المعيار القومي الذي يستلهم المصلحة القومية العليا، ويرفض الانصياع لمنطق الخلافات الهامشية والعابرة بين رفاق وأخوة الدرب الواحد.

ومعاناة القارىء تفوق معاناة الكاتب، وتصل أحياناً حدود المأساة؛ وذلك عندما يجد نفسه أمام رأيين متناقضين لكاتبين من صف واحد. إنه، بعفويته البسيطة ووعيه السليم، يدرك أهمّية وضرورة التباين في وجهات النظر والاجتهادات ولكنه لا يستطيع، ولا هو يقبل أصلاً، أن يكون ثمة تناقض، وبهذه اللغة المتجاوزة لأصول الحوار الديمقراطي.

أوليس مأساة مؤلمة ــ ونسوق مثلاً من عدة ــ أن يجد القارىء نفسه حائراً أو ممزقاً بين رأيين صادرين عن التيار الواحد نفسه، الأول منهما يصف حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ بأنها حرب مجيدة، والثاني يصفها بأنها مؤامرة امبريالية؟ إن هذا اللامعقول من التناقض يضع القارىء أمام استنتاجين لا ثالث لهما: اما ان يكون صاحبا الرأيين جادّين فيما صدر عنهما وبالتالي فهما ليسا بحليفين ولا أبناء تيار واحد. وإما أن يكونا غير جادين ــ أو واحد منهما على الأقل ــ وانزلقا إلى ما وصلا إليه تحت وطأة